صدق الأثر النفسي عند طائفة من شعراء ثقيف

م.م. محمّد جاسم محسن الموسويّ
mohammed.almosawi@alzahraa.edu.iq
جامعة الزهراء(عليها السلام) للبنات/ كليّة التربيّة

الملخص

لعلّ أول تساؤلًا يطرح في عملية التأثير والتأثر في النص الأدبي، هو، هل إن النصوص جميعها تحدث وقعًا واحدًا من التأثير؟ قطعًا لا، كون هذا الأمر مبنيٌ على نوعية تلك النصوص ومُنْشِئيها، ثم هل إن المتلقين على نحو متساوٍ من التأثر النفسي؟ فهل هم بالمستوى ذاته جميعًا؟ لا ريب إن هذا الأمر هو الآخر مَبنيٌ على الاختلاف بين بني البشر، فلسنا بمستوى واحد من التفكير والتفاعل، فكلّ إنسان هو نسخة فريدة لم يطبع منها نظير، بل حتى التوائم مع أنهم متشابهون إلّا أنهم غير متماثلين، وكذا نفوسهم.

إن صدق الشاعر –صدق الأثر– مرتبط كلّ الارتباط بقدرته على التأثير في قرّاءه ومستمعيه، وقدرته على جعلهم يشاركونه شعوره وإحساسه الذي بثه في نصّه، فالشاعر الذي يمكن أن نقول عنه أنه صادق فنيًا هو ذلك الشاعر الذي نتأثر لما يقوله، ونحس إحساسًا عميقًا لصدق مشاعره وأحاسيسه، فنقول: هذا صادق ونتفاعل معه أي تفاعل.

الكلمات المفتاحيّة: صدق الأثر، التأثير، النفسي، الصدق الفني، إحساس، الشاعر.

The validity of the psychological impact of a group of Thaqif poets

Muhammad Jassim Mohsen Al-Musawi.M.M
Al-Zahraa University - peace be upon her - for girls \ College of Education Department of Arabic Language.

Abstract

lel 'awal tsawlan yutrah fi eamaliat altaathir walta'athur fi alnasi al'adbi, hu, hal 'iina alnusus jamieuha tahduth wqean wahdan min altaathiru? qtean la, kawn hadha al'amr mbny ealaa naweiat tilk alnusus wmunshiyha, thuma hal 'iina almutlaqiyn ealaa nahw mtsaw min alta'athur alnafsi? fahal hum bialmustawaa dhatih jmyean? la rayb 'in hadha al'amr hu alakhir mabny ealaa alaikhtilaf bayn bani albashar, falasna bimustawan wahid min altafkir waltafaeula, fkl 'iinsan hu nuskhat

faridat lam yatbae minha naziru, bal hataa altawayim mae 'anahum mutashabihun 'illa 'anahum ghayr mutamathilina, wakadha nufusuhum.
'iina sidq alshaaeir –sidq al'athra– murtabit kl alairtibat biqudratih ealaa altaathir fi qrra'h wamustamieihi, waqudratih ealaa jaelihim yusharikunah shueurah wa'iihsasah aladhi buthah fi nssh, falshaaeir aladhi yumkin 'an naqul eanh 'anah sadiq fnyan hu dhalik alshaaeir aladhi nata'athar lima yaquluhu, wanuhasu 'ihsasan emyqan lisidq mashaeirih wa'ahasisahi, fanaqul hadha sadiq wanatafaeal maeah 'aya tafaeulin.

Key words: sidaq al'athra, altaathira, alnafsi, alsidq alfani, 'iihsasi, alshaaeiri.

تقديم:

إنَّ الوَقعَ الذي يُحدثه الشعر في نفوس سامعيه، وحجم هذا الوقع وتأثيره، هو ما نعنيه بهذا النوع من الصدق(صدق الأثر النفسي)، أي ما هو حجم التأثر النفسي الذي أحدثه أو صنعه النصّ في المتلقي؟

لا شك في أن أول ما يُسأل، هل إن النصوص جميعها تحدث وقعًا واحدًا من التأثير؟ قطعًا لا، فهذا مبنيٌ على نوعية تلك النصوص ومُنْشِئيها، ثم هل إن المتلقين على نحو متساوٍ من التأثر النفسي؟ فهل هم بالمستوى ذاته جميعًا؟ لا ريب إن هذا الأمر هو الآخر مَبنيٌ على الاختلاف بين بني البشر، فلسنا بمستوى واحد من التفكير والتفاعل، فكلّ إنسان هو نسخة فريدة لم يطبع منها نظير، بل حتى التوائم مع أنهم متشابهون إلّا أنهم غير متماثلين، وكذا نفوسهم.

إن صدق الشاعر مرتبط كلّ الارتباط بقدرته على التأثير في قرّاءه ومستمعيه، وقدرته على جعلهم يشاركونه شعوره وإحساسه الذي بثه في نصّه، فالصادق فنيًّا هو الشاعر الذي نتأثر لما يقوله، ونحس إحساسًا عميقًا لصدق مشاعره[١]، وهناك أمرٌ بالغ الأهميّة في مسألة الصدق الفني؛ لأنّا نتأثر بنصٍ معين قد يخالف ما نُؤمن به أو نخالفه من حيث الحقائق والأفكار، أو أن هذا النصّ يخالف المألوف والواقع، لكننا نتأثر به، بل قد نتناشده فيما بيننا أو مع أنفسنا؛ لذلك فإنَّ النتائج في الشعر تنشأ عن طريق تنظيم انفعالاتنا فهو الذي يحدد قبولنا للقضية الزائفة وتأثيرها في مشاعرنا ومواقفنا ولا شيء سواها[٢].

إذن حين "تصبح التجارب التي يسجلها الأثر الفني متوائمة في يسر والتصاق مع تجاربنا الفعليّة

[١] ينظر: الصدق الفنيّ في الشعر العربي: ٢٦٧.

[٢] ينظر: من قضايا الشعر والنثر في النقد القديم، د. عثمان موَافي: ١/ ١٣٦.

أو ما نسميه بتجاربنا الممكنة، فإننا نقول دون شك هذه القطعة من الأدب صادقة"[١]، فالشاعر لا يستطيع الوصول إلى نفوس متلقيه ما لم يكن صادقًا، فبذلك يرتبط الأثر النفسي الذي يحدثه الشعر فينا بصدق تجربة الشاعر، أي إن يحسّ الشاعر إحساسًا صادقًا وعميقًا بما يريد التعبير عنه؛ إذ كلما كان المبدع صادقًا مع نفسه كان قادرًا على التأثير في الآخرين[٢]، ومن ثم إمتاعهم بشيء من المعرفة، ومعنى ذلك أن ثنائية التأثير والتأثر تتضح جلية، فلو لم يكن متأثرًا أو قليل التأثر في قصيدته لانسحب ذلك الأمر علينا ولم نتفاعل معه.

إن التأثير إنما هو يحصل بسبب طبيعة الشاعر الخاصة، وإحساسه المرهف، وتعاطفه مع موضوعات الطبيعة وأحداث الحياة بدرجة أكبر من المألوف، فهو بهذا يتمكن بفضل موهبته أن يعرض لنا الحقائق والعواطف الإنسانيّة بأن يستلهمها وإضافة انفعاله عليها، وعلى حدّ تعبير تولستوي (العدوى) أي تنتقل عدوى الشاعر إلينا، فقد وصف العمل الفنيّ الحقيقي بأنه "هو ذلك الإنتاج الصادق الذي يمحو كلّ فاصل بين صاحبه من جهة، وبين الإنسان الذي يوجه إليه من جهة أخرى"[٣]، فلا بد للشاعر بأن يبعث في نفوس سامعيه ما أحسّته نفسه، وأن يحرك الخيال بما تحرك له خياله حتى أنه يسيطر على خيال قرّاءه "بحيث تصبح تجاربهم بقدر الإمكان تقليدًا صحيحًا لتجاربهم"[٤].

فقد يحدث يوماً ما أنك حين تقرأ نصًا شعريًّا معينًا أن تقول: هذا ما كنت أشعر به، وأفكر فيه دائمًا، ولم أكن قادرًا على أن أصوغه في كلمات حتى بيني وبين نفسي[٥]، ولا شك في أن أهميّة هذا المقياس تتأتى من كون هذا التأثير هو أبرز غايات العمل الأدبي، فلا فائدة في الرثاء ولا في الغزل ولا في المديح، ولا في أي شيء ما لم يحدث تأثيرًا، وقد عدّ كثيرون هذا المقياس غاية العمل الأدبي[٦]، وهناك أمر مهم في هذا المقياس هو أنه لا يعني اشتراطنا صدق التجربة للتأثير وقوعها حقيقة في حياة الشاعر؛ كون الصدق الفنيّ "يستلزم إيمانًا بالتجربة في معانيها الإنسانيّة، وهو في هذا يتلاقى مع الصدق الخلقي غير التقليدي"[٧].

الفنان الناجح والأديب الفذ لا ينتظر أن تمرّ به تجربة معينة حتّى يكتب عنها، فهو يملك موهبة وقدرة تمكنه من خلق التجارب، كذلك أمرٌ لا مفرّ منه في صدق الأثر ألا وهو أن صدق التجربة

[١] ينظر: قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، محمّد زكي العشماويّ: ٣-٤، نقلًا عن: A Book of English Essays P.353

[٢] ينظر: الصدق الفنيّ في الشعر العربي: ٢٦٧- ٢٦٨.

[٣] ينظر: مشكلة الفن، زكريا إبراهيم، منشورات مكتبة مصر للطباعة والنشر والتوزيع- مصر، د.ط، د.ت: ٢٠.

[٤] قواعد النقد الأدبي، اسل ابركرمبي: ٣٤.

[٥] ينظر: قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، محمّد زكي العشماوي: ٩.

[٦] ينظر: النقد الأدبي أصوله ومناهجه: ٨.

[٧] النقد الأدبي عند العرب، د. حنفي محمّد شرف: ١٨٨.

التي لا يعني انطباقها تمامًا على حياة الشاعر وسلوكه، فقد يتغنى المرء بما ليس في متناوله، وينشد ما هو محروم منه، فهو كما يقال: "يتولَّد من الرغبة الجائعة، لا من الرغبة المشبعة، التي لا يتولَّد عنها شيء ما، فالشعر يمثل جانب الشاعر الفكري المثالي لا جانبه العملي"[١]، ومن ذلك تنشأ الأحاسيس السامية والعواطف النبيلة.

ولا ريب حين نُطالع شعراء ثقيف نجد من هذا النوع وغيره كثيرًا من الأشعار التي تزخر بالحنين والتوجع والألم والشوق، لذا قمنا بتقسيم هذا البحث على مقدّمة ومبحثين وخاتمة.

المبحث الأوّل: في الشوق والحنين للمحبوب.

إن التأثير الذي يصنعه الشاعر وكيف يجعلك تتأثر بما يمرّ به، لهو بحقّ مقياس لإجادته ونجاحه، ومن هؤلاء هو الحارث بن كلدة الثقفيّ الذي يُكاتب ويراسل من يُحب[٢]:

[الوافر]

كتبتُ إليهمُ كُتُبًا مرارًا		فلمْ يرجِعْ إليَّ لها جوابُ
فما أدري أغَيَّرَهُمْ تَنَاءٍ		وطُولُ العهْدِ أمْ مالٌ أصابُوا
فمن يكُ لا يدومُ له وصالٌ		وفيه حينَ يغتَرِبُ انقلابُ
فإن موَّدتي لهُمُ وعَهدي		على حالٍ إذا شهدُوا وغابُوا
يحنُّ إليهمُ قلبي فَأُمْسِي		كأني مِنْ تذكُّرِهِمْ مُصابُ

حين يطرح الشاعر مشكلته، تبقى معلقة بين القبول والرفض، وهنا يقول إني كتبت إليهم مرارًا، ولا جواب منهم، ثم يستفهم، إنه لا يدري لِمَ لَمْ يرجع هذا الجواب، فيحتمل أنه بسبب البعد أو طول العهد وعدم اللقاء أو أنهم استغنوا عنه، وفي الأمر الأخير نجد سوء الظن وعدم الثقة في المحبوب جلية، لكنه يعود ويقول مع كلّ ما تقدم أنهم إذا غابوا ولأي سببٍ كان؛ فإن مودتي لهم باقية، وكذا قلبي يحن لهم، حتى لتجد قلبي قد أُصيب من جراء تذكرهم، فهو قد وصف لك ما عاناه وقد قدم لنا أسباب عدم المكاتبة، ثم بين لنا أنه شديد التمسك بمن يحب، فهو يقدم نصه الذي لربما يكون مختلق وخيالي وهو لم يكتب شيء بصدق فني محكم.

وقريب من هذا الشوق قوله أيضًا[٣]:

[الوافر]

[١] النقد الأدبي الحديث، محمّد غنيمي هلال : ٣٨٦.

[٢] شعر ثقيف حتى نهاية العصر الأمويّ: ٣٤٤.

[٣] شعر ثقيف حتى نهاية العصر الأمويّ: ٣٤٥.

ألا يا حَبَّذَا وَطَنِي وأَهْلِي		وَصَحْبي حِين يُذَّكَرُ الصّحَابُ
بِلادٌ مِنْ غَطارِفَةٍ كِرَامٍ		بِهِمْ خَلَّى تَميمَتِيَ الشبَابُ
وَمَا عَسَلٌ ببَارِدِ مَاءِ مُزْنٍ		على ظمأٍ لِشارِبِه يُشَابُ
بِأَشْهَى مِنْ لِقَائِهِمُ إِلَيْنَا		وكَيْفَ لَنَا بِهِمْ وَمَتَى الإِيَابُ
يَحِنُّ إليهمُ قَلبِي فَأمسِي		كَأَنِّي مِنْ تَذَكُّرِهِمْ مُصَابُ مكرر
وَأَزجُرُ للتخَوُّفِ كلَّ طَيْرٍ		وبَعْضُ الطيرِ أحيانًا صَوابُ
فَيُعْجِبُنِي السَّوَانِحُ سَالِمَاتٍ		ويُحْزِنُنِي إِذَا نَعِبَ الغُرَابُ

يبدأ هذه المرة شاعرنا مستفتحًا قصته بالحرف (ألا)، وبالنداء ليقول بعد ذلك (وطني- أهلي- صحبي)، إن الدخول لدائرة إحساس الشاعر وحجم المعاناة والغربة التي ألمت به، فنجده قد عاش ألم الفراق وأكتوى بنار الهجر، فالمحاكاة والتخييل تكشف لنا نوعية الصدق الفني، الذي صور فيه الشاعر حالة العاطفة التي يمرّ بها فإن وطنه وطن كرام، وهنا يقارن بين شرب الماء والعسل للظمآن، وبين الاختيار الآخر وهو لقاؤه الأحباب الذين لا يعرف متى إيابهم، وأنه يحن إليهم كلّ مساء حتى كأنه مصاب، ويطل علينا بصورة رائعة حين يقول إنني من شدة تخوفي من عدم رجوعهم أزجر جميع الطير التي تمرّ بي على الرغم من أن بعض الطيور فألها حسن، وإن أشد ما أعانيه ويحزنني كثيرًا (إذا نَعِبَ الغُرَابُ)، في هذه القطعة الجميلة من المشاعر والتي بدأ بها الشاعر بالتحنن إلى الوطن والأهلين، وختمها بشدة تخوفه حتى من الطير، يؤشر على أن شاعرنا قد أوصلنا إلى ما أراد ونجح في ذلك.

ومن النصوص الغنية بهذا النوع من الصدق للبُرَاء بن قَبِيَصة[١]؛ إذ يقول [٢]:

[الخفيف]

أُمَّ عَبدِ الغفَّارِ رُدِّي نَوَالاَ		وَصِلِي حَبْلَ عَاشِقٍ وِصَالاَ
أُمَّ عَبْدِ الغَفَّارِ لَيْسَ بِحِلِّ		قَتْلُ نَفْسٍ فَلاَ تَرَيْهِ حَلاَلاَ

يشكو هنا البراء هجر محبوبته (أُمَّ عَبدِ الغفَّارِ)، ويقول لها صِلي هذا العاشق ويقول لها أخرى

[١] البراء بن قبيصة: هو البراء بن قبيصة بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب: ولاه الحجاج البصرة، وولاه الكوفة، ثم عزله وولاه أصبهان، ثم ولي الطائف بعد الحجاج، خطب أم عبد الغفار بنت عبد الملك بن عبد الله بن عامر، لكن تزوجها عبد الأعلى بن عبد الله، وكان البراء محبًا للخمر، ينظر: أنساب الأشراف: ٤٢٥/١٣، التذكرة الحمدونيّة: ٣٠٥/٨، أسد الغابة: ١٧٢/١، الإصابة: ٤٧٩/١، وغيرها.

[٢] شعر ثقيف حتّى نهاية العصر الأمويّ: ٣٦١، والنص ليس في جمع الأستاذ عيضه بن عبد الغفور الصوّاط.

إنه ليس حلالًا أن تقتل نفسًا، وعلى وفق هذه الشكوى والحبال التي قطعت بينه وبين (أم عبد الغفَّار)، بيّن شدّة تعلقه بها، فشعورنا وتأثرنا وتفاعلنا بهذا النوع من الأشعار يؤشر لما فيه من صدق فني.

ولعبد الرحمن بن أم الحكم قوله في امرأة جميلة شاهدها فأعجبته فوصف جمالها، ليؤثر فينا عن طريق لغته وقمة صدقه الفني، إذ يقول[١]:

[البسيط]

وقد أُتِيتُ بوجهٍ لا شبيه لَهُ		فيما يَرى النّاس مِن إنسٍ ومِن جَانِ
حوراءُ يَقْصُرُ عنها الوصفُ إنْ وُصِفَتْ		أقولُ ذلك في سِرٍّ وإعلاني
فاعذُرْ فإنَّكَ لَوْ أَبْصَرْتَ صُورَتَها		لَقُلْتَ مَا هذِهِ تمثَالُ إنسَانِ

يُظهر عبد الرحمن شدة تعلقه وإعجابه بالوجه الذي صادفه؛ إذ قال: إنّ هذا الوجه لم يرَ (من إنسٍ ومن جانِ)، ومما لا شك فيه أنها قمة في الصدق الفني، فهو وإن صدق مع ذات نفسه، إلّا أنه وصل بهذا الحبّ حتّى أنه لا يرى لها من وصف يصل لها، ثم بدأ بعد هذا التعجب الشديد الشروع بأوصاف صاحب هذا الوجه، فهي: حوراء، يقصر عنها الوصف، وهو يقول هذا الإيمان –بمن يحب– في سره وإعلانه.

فأنت يا أيها اللائم حقيقة أو مجازًا لو أنك رأيتها لعذرتني ولتركت توبيخي ولومي، وبعد ذلك سوف تقول: (مَا هذِهِ تمثَالُ إنسَانِ).

ومن الأشعار التي تدخل ضمن مصداق التأثير في النفوس للفُرَيْعَة بنتُ هَمَّام المتمنّية[٢]؛ فهو من باب التغزل بالرجال، إذ تقول[٣]:

[البسيط]

[١] م ن: ٣٧٢– ٣٧٣، والنص ليس في جمع الأستاذ عيضه بن عبد الغفور الصوّاط.

[٢] الفُرَيْعَة بنتُ هَمَّام المتمنّية: هي الفُرَيْعَة أو الفارعة بنت همَّام بن عروة بن مسعود بن مُعَتّب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف الثقفيّ، لُقبت بالذلفاء، كانت زوج المغيرة بن شعبة فطلقها، وهي أم الحجاج بن يوسف الثقفيّ، ويقال لها المتمنية لما تمنته من وصل نصر بن حجاج، وصارت مضرب مثلٍ، وكان الحجاج يُنبز بها فيقال له: ابن المتمنيّة، لترجمتها ينظر: تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٢٧٥/٤٠، الروض الأنف (في تفسير السيرة النبويّة لابن هشام)، أبو القاسم عبد الرحمن السهيليّ (ت: ٥٨١هـ)، ضبط وتعليق: طه عبد الرؤوف سعد، منشورات دار الفكر– بيروت، د.ط،١٤٠٩هـ: ٦٤/٤، مصارع العشاق، السرَّاج: ٢/ ٢٦٦–٢٦٨.

[٣] شعر ثقيف حتّى نهاية العصر الأمويّ: ٣٨٢–٣٨٣، والنص ليس في جمع الأستاذ عيضه بن عبد الغفور الصوّاط.

هلْ مِنْ سَبِيلٍ إلى خمرٍ فأشربَهَا		أَمْ هَلْ سبيلٌ إلى نَصْرِ بن حجَّاجِ
إلى فتىً ماجِدِ الأعراقِ مُقْتَبلٍ		سهلِ المحيَّا كريمٍ غيرِ مِلْجَاجِ
تُنْمِيهِ أعراقُ صِدْقٍ حين تنسُبُهُ		أخي قداحٍ عن المكروب فَرَّاجِ

تمني المتمنية لهذا الشاعر فيه من العفة والأدب ما يجعلنا نمجّه من جهة، ونكبره من أخرى؛ كون الأولى يصدر عن امرأة، والعربي يطالب المرأة بالعفة والحياء، أما الأخرى لأنها طلبته كونه (ماجد الأعراق- سهل المحيَّا)، يقابل ذلك أنه (غير ملجاج- أخي قداح- عن المكروب فرَّاج)، فهي وإن لم تكن أشياء تخالف العفاف، إلّا أنها امرأة، ونحن حين نعالج مدى تأثير هذا الشعر بالنفوس وإن كان بدرجة أقل فإننا نشعر بتأثير هذا الفتى بالفُرَيْعَة.

المبحث الثاني: في المديح والفخر والشجاعة.

إن لهذا النوع من الصدق الذي يؤثر في المتلقي، الذي شاركت في التأثير فيه البيئة الثقفيّة أشد التأثير، ومن المصاديق المهمة لهذا النوع من الصدق الفنيّ الذي يثير في نفوس متلقيه شيئًا من المشاركة تجاه قضية أو حادثة ما، للقاسم بن أميّة بن أبي الصلت الثقفيّ، وهو قوله مادحًا بني الديان[١]؛ إذ قال[٢]:

[الكامل]

وإذا دعوتُهُمُ لِيومِ كَرِيهَةٍ		سَدُّوا شُعاعَ الشمْسِ بالخِرصَانِ
لا ينكثُون الأَرْضَ عند سؤالِهِمْ		لتَطَلُّبِ العِلَّاتِ بالعِيدَانِ
بل يبسُطُونَ وجوهَهُم فترى لها		عندَ اللَّقَاءِ كأحسَنِ الأَلْوَانِ
فهُمُ جناحي إن سألتُ وناصري		وبهم أُقَوِّمُ ضِغْنَ مَنْ عَادَانِي

يتضح لنا جليًّا إن الشاعر في كنايته عن شجاعتهم وكثرتهم حين يلبُّون دعوته، ونجدته بأن أسنة هؤلاء ورماحهم قد غطت شعاع الشمس، وهذه المبالغة واضحة، وكذلك أنهم كرماء وتراهم يبسطون وجوههم عند اللقاء، وهذه من صفات الشجاعة لدى المقاتل حين يضحك وهو مستبشرٌ فرحٌ، مع هذه المالغة والكذب الفنيّ جعلنا الشاعر نصدق ونتفاعل مع ما يقول؛ لتسطيره جملة من الصفات النبيلة التي انطوت عليها طبائع قومه وممدوحيه؛ لتجدنا نتقبل هذا الشعر، ونتفاعل معه لربما عن قصد أو من دون قصد.

[١] بنو الديان، هم بنو يزيد بن قَطَن، وهم بيت مَذحج وأخوال أبي جعفر الحاكم الأول لبني العباس، ينظر: جمهرة النسب، أبو منذر هشام بن محمّد بن السائب الكلبيّ (ت: ٢٠٤هـ)، تحقيق: د. ناجي حسن، منشورات عالم الكتب- القاهرة- ومكتبة النهضة العربيّة- بغداد، ط١، ١٩٨٦م: ٤١٦-٤١٧.

[٢] شعر ثقيف حتّى نهاية العصر الأمويّ: ٣٨٥-٣٨٦، والنص ليس في جمع الأستاذ عيضه بن عبد الغفور الصوّاط.

وليزيد بن الحكم الثقفيّ مخاطبًا يزيد بن المهلّب وهو في سجن الحجاج[١]:

[المنسرح]

أَصبَحَ في قَيْدِكَ السّماحةُ والجو		دُ وفَضْلُ الصَّلاحِ والحسبُ
لا بَطِرٌ إنْ تَتَابَعَتْ نِعَمٌ		وَصابرٌ في البلاءِ مُحْتَسِبُ
بَرَّزْتَ سَبْقَ الجيادِ في مَهَلٍ		وَقَصَّرَتْ دونَ سَعْيِكَ العَرَبُ

أتصدق هذا القول لسجين لو استثنيت (قيدك)، مع سماعك (السماحة- الجود- وفضل الصلاح- الحسب)، تراها لملك أو خليفة أو وزير، لكنه وبقوته الفنية أوصلنا لأن نقتنع بفكرته التي يقول إنه بقيده أصبح يملك ما مرّ، فهو وإن كان في السجن وكان صابرًا في البلاء محتسبًا إلّا أن العرب قصرت دون سعيه، فقوة هذا الشاعر، وفنيته العالية، وتسلسل عباراته وسهولتها، جعلته يأخذنا إلى ساحة إبداعه وتألقه، **فهذا الخيال هو ثوب الصدق الفني وفكرته**، فميدان هذا الصدق التعبير عن الدوافع والأحاسيس؛ إذ يستطيع الفنان أن يلبس تجاربه الثوب الملائم من فنية التعبير، أو يسكن مضامينه ذلك البناء المناسب من إيحائية ذلك الثوب مع فنية التعبير، أو إيحائية الصورة، فهذه القوة التي بعثها فينا الأديب تنبع أول أمرها من الأديب نفسه الذي عليه أن يتأثر أولًا ثم يؤثر فينا ويثيرنا[٢].

ومن النصوص الجميلة لعبد الله بن سعيد بن عتبة الثقفيّ، قوله [٣]:

[البسيط]

أقولُ إذْ حملوني في رماحِهِمُ		والسيف يأخذ منهم مُشرِفَ الهَامِ
أنا أصُدُّ وفي كَفّي ذو شُطَبٍ		صَمْصَامَةٍ تتعدَّى كلّ صَمْصَامِ
والله أنفكُّ فيكم هكذا أبدًا		بالقتل حتى تُخَلُّوا جانبَ الشامِ
إني ابنُ شيخِ ثقيفِ المَجْدِ يمنعُني		من الفرارِ قَبِيلٌ غيرُ أقْزَامِ

نجد قوة التأثير التي يثيرها فينا شاعرنا بسبب قوة الألفاظ المختارة، وبنائه الفني، والذي جعله يُعبر عن فكرته بطريقة مُثلى، فهو يصوّر أنه فوق رماحهم، لكنه يضرب رؤوسهم، ويقول إن السيف الذي يحمله كفّي يتعدى كلّ صمصَام، ويفاجئنا بصورة أقوى من سابقاتها بتصويره استمراره بقتلهم (حتّى تُخلّوا جانبَ الشام)، ويفخر بنفسه أيما فخرٍ بأنه ابن شيخ ثقيف، وأنه

[١] يزيد بن الحكم الثقفيّ حياته وشعره: ٢٠٥، شعر ثقيف حتّى نهايّة العصر الأمويّ: ٤١٥-٤١٦.

[٢] ينظر: الأسلوب: ١٩٤.

[٣] شعر ثقيف حتّى نهاية العصر الأمويّ: ٣٧٨- ٣٧٩، والنص ليس في جمع الأستاذ عيضه بن عبد الغفور الصوّاط.

يمنعه من الفرار (قبيلٌ) وهؤلاء الجماعات (غيرُ أقْزَامِ)، ولذات الشاعر أيضًا، قوله[١]:

[البسيط]

ما زلتُ أحملُ مُهْرِي وسْط حَوْمَتِهم		ونحن في رَهَجِ الهَيْجاء نطّعنُ
حتى قطعتُ حسامي في رؤوسهمُ		وقُلتُ لا تُذْكَرَنْ من بعدها يَمَنُ
والخيلُ عابسةٌ قد سُرْبلَتْ بدمٍ		يغيب فيه لها الأرساغُ والثُّنَنُ

إن الصورة التي يريد صنعها الشاعر عن نفسه ويريد منا أن نتفاعل معه، هي قوة ساعده وشجاعته، بقوله (قطعتُ حسامي في رؤوسهمُ)، والصورة الأخرى بأنه من كثرة القتل وسيل الدماء اختفت الشعيرات الموجودة في مؤخرة رسغ الدابة، فتتابع الصورة وسلاستها وهذا المزيج من التراكيب اللغوية والصور الشعريّة والإيقاعات والدلالات، هي مجموعة عناصر تؤلف هذا العمل الأدبي الذي يثير في نفس مبدعه قبل أن يؤثر ويثير فينا ما يثير، فالصدق الفني يستلزم النظر إلى مقومات الشعر[٢].

إن براعة الفنان وإجادته لها من الأثر الكبير الذي يجعلك تتقبل النصّ أول مرة ليس على أنه مبالغة أو إغراق، وتقبله على الرغم من مخالفته ما تؤمن به، فأنت تتأثر بلا وعي ووعي، فتسقط هالة النص لو أعدت الكرة، وقد لا تسقط شيء مما رُسم في اللوحة.

لا نقصد أن هذان النوعان من الصدق هما فقط من يمثلًا صدق الأثر النفسي فحسب، إنما هما صورتان تمثلًا النزر اليسير مما يسطره الشاعر الثقفيّ على وجه الخصوص، والشاعر على وجه العموم.

خاتمة البحث:

- إن براعة الفنان وإجادته لها من الأثر الكبير الذي يجعلك تتقبل النصّ أول مرة ليس على أنه مبالغة أو إغراق، وتقبله على الرغم من مخالفته ما تؤمن به، فأنت تتأثر بلا وعي ووعي، فتسقط هالة النص لو أعدت الكرة، وقد لا تسقط شيء مما رُسم في اللوحة، وقد رسم لنا هؤلاء الشعراء صور رائعة.

- لا نقصد أن هذان النوعان من الصدق هما فقط من يمثلًا صدق الأثر النفسي فحسب، إنما هما صورتان تمثلًا النزر اليسير مما يسطره الشاعر الثقفيّ على وجه الخصوص، والشاعر على وجه العموم.

- الفنان الناجح والأديب الفذ لا ينتظر أن تمرّ به تجربة معينة حتّى يكتب عنها، فهو يملك موهبة وقدرة تمكنه من خلق التجارب، كذلك أمرٌ لا مفرّ منه في صدق الأثر ألا وهو أن صدق

[١]شعر ثقيف حتّى نهاية العصر الأمويّ: ٣٧٩، والنص ليس في جمع الأستاذ عيضه بن عبد الغفور الصوّاط.
[٢] ينظر: الأسلوب: ١٩٢-١٩٣.

التجربة التي لا يعني انطباقها تمامًا على حياة الشاعر وسلوكه، فقد يتغنى المرء بما ليس في متناوله، وينشد ما هو محروم منه.

– لا ريب حين نُطالع شعر شعراء ثقيف نجد من هذا النوع وغيره كثيرًا من الأشعار التي تزخر بالحنين والتوجع والألم والشوق.

المصادر والمراجع:

١. أسد الغابة في معرفة الصحابة، محمّد بن محمّد الشيبانيّ الشهير بابن الأثير (ت:٦٣٠هـ)، منشورات دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع– بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ.

٢. الأسلوب، أحمد الشايب، منشورات مكتبة النهضة المصريّة– القاهرة، ط ٨، ١٤١١هـ.

٣. الإصابة في تميز الصحابة، أحمد بن عليّ بن حجر العسقلانيّ (ت: ٨٥٢هـ)، دراسة وتحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود– الشيخ عليّ محمّد معوض، تقديم: محمّد عبد المنعم البري، منشورات دار الكتب العلميّة– بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٤. أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى البلاذريّ (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: الدكتور محمّد حميد الله، منشورات معهد المخطوطات بجامعة الدول العربيّة بالاشتراك مع دار المعارف– مصر، د.ط، ١٩٥٩م.

٥. تاريخ مدينة دمشق، عليّ بن الحسن ابن هبة الله الشهير بابن عساكر (ت: ٥٧١هـ)، دراسة وتحقيق: عليّ شيري، منشورات دار الفكر– بيروت، د.ط، ١٩٩٥م.

٦. التذكرة الحمدونيّة، عبد الله بن عبد العزيز بن محمّد البكري الأندلسيّ (ت: ٤٨٧هـ)، تحقيق: إحسان عبّاس وبكر عبّاس، منشورات دار الكتب العلميّة– بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

٧. جمهرة النسب، أبو منذر هشام بن محمّد بن السائب الكلبيّ (ت: ٢٠٤هـ)، تحقيق: د. ناجي حسن، منشورات عالم الكتب– القاهرة– ومكتبة النهضة العربيّة– بغداد، ط١، ١٩٨٦م.

٨. الروض الأنف (في تفسير السيرة النبويّة لابن هشام)، أبو القاسم عبد الرحمن السهيليّ (ت: ٥٨١هـ)، ضبط وتعليق: طه عبد الرؤوف سعد، منشورات دار الفكر– بيروت، د.ط،١٤٠٩هـ.

٩. شعر ثقيف حتى نهاية العصر الأمويّ، عني بجمعه وتحقيقه: إسلام ماهر فرج عمارَة، منشورات دار الكتب الوطنيّة– أبو ظبي، ط١، ٢٠١٠م.

١٠. الصدق الفني في الشعر العربي حتى نهاية القرن السابع، د. عبد الهادي خضير نيشان، منشورات دار الشؤون الثقافية العامة– بغداد، ط١، ٢٠٠٧م.

١١. قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، محمّد زكي العشماويّ، منشورات دار النهضة العربية لطباعة والنشر– بيروت، ط١، ١٩٧٩م.

١٢. قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، محمّد زكي العشماويّ، منشورات دار النهضة العربية لطباعة والنشر– بيروت، ط١، ١٩٧٩م.

١٣. قواعد النقد الأدبي، اسل ابركرمبي، ترجمة: د. محمّد عوض محمّد، منشورات لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة، ط٣، ١٩٥٤م.

١٤. مشكلة الفن، زكريا إبراهيم، منشورات مكتبة مصر للطباعة والنشر والتوزيع– مصر، د.ط، د.ت.

١٥. النقد الأدب أصوله مناهجه، سيّد قطب، منشورات دار الشروق– القاهرة، ط ٨، ١٤٢٤هـ.

١٦. النقد الأدبي الحديث، محمّد غنيمي هلال، منشورات دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع– القاهرة، ط٣، ١٩٩٧م.

البحوث والدوريات

١. شعراء ثقيف في العصر الأمويّ (رسالة ماجستير)، عيضه بن عبد الغفور الصوّاط، إشراف: الأستاذ الدكتور عبد الحكيم حسان، جامعة أم القرى– كليّة اللغة العربيّة، ١٩٨٣م.

٢.يزيد بن الحكم الثقفيّ حياته وشعره، الدكتور نوري حمودي القيسيّ، مجلّة المجمع العلميّ العراقي، ج١– مج ٣١، كانون الثاني ١٩٨٠م.